مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

إيران والإخوان (3)
الشيعة القطبيون

الكتاب 124 أبريل (نيسان) 2017
كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

خلية الإخوان المسلمين لإنقاذ نواب صفوي من الإعدام

رشيد الخيُّون(*)

لعلَّ كتاب «الحكومة الإسلامية» لآية الله روح الله الخميني (ت 1989)، فاق شهرة أبي الأعلى المودودي (ت 1979)، الذي كان قد أصدره بالاسم نفسه، مع أنه سبق أحاديث الخميني التي ألقاها على طلبة الحوزة الدِّينية بالنَّجف بنحو ست سنوات، وسبق صدور كتاب الخميني بعشر سنوات، ذلك إذا علمنا أنه صدر بطبعته الأُولى (1979) ببيروت، ولم يمض على عودة الخميني إلى طهران، لتسلم مقاليد السُّلطة فيها، إلا شهران (عاد الخميني في يناير (كانون الثَّاني) وطُبع الكتاب في مارس (آذار) 1979.

(*) باحث عراقي، متخصص في التراث الإسلامي والفلسفة الإسلامية.

السُّؤال: هل اطّلع الخميني على كتاب المودودي، أم ما ورد فيه كان تواردَ خواطر؟ فالكتابان متشابهان -إلى حد كبير- في الهدف والطَّرح، مع الاختلاف في سُنية المودودي وشيعية الخميني، وإلا فالحاكمية واحدة، ووجوب قيام دولة إسلامية، وأن الحكم للّه. وكان المودودي قد اعتبر تنفيذ الحاكمية مِن قِبل المؤمن بها والجدير بتنفيذها، غير محدد النَّسب، بينما اعتبر الخميني تنفيذها مِن قِبل الولي الفقيه، وهو بمثابة نائب الإمام المهدي المنتظر (حُددت غيبته حسب التقليد الإمامي 260هـ)، على أن طرح مصطلح الولي الفقيه بهذا الوضوح قد جاء على لسان الخميني بالنَّجف، ولو لم يكن التَّعرض لولاية الفقيه ميلاً عن موضوعنا للأطنبنا في بيان ذلك.

جاء في «الحكومة الإسلامية» للمودودي: «هذا الدِّين اسمه الإسلام، وما جيء به ليكون ملحقاً وذيلاً للحياة، ولو كان كذلك لكان الهدف من نزوله هو الموت والانتهاء، لأن هذا الدِّين يبحث العلاقة بين اللّه والإنسان، وبين الإنسان والإنسان وجميع الكائنات على وجه البسيطة»[1]. من المعلوم أن المودودي أتى على «الحاكمية» معتبراً المجتمعات الإنسانية المعاصرة جاهلية في أكثر من كتاب، منها ما أصدر قبل كتابه «الحكومة الإسلامية» بكثير[2].

بالمقابل جاء في «الحكومة الإسلامية» للخميني: «وهكذا يكون الإسلام قد عالج كل موضوع الحياة، وأعطى فيه حكمه، ولكن الأجانب وسوسوا في صدور النَّاس والمثقفين منهم خاصة إن الإسلام لا يملك شيئاً، الإسلام عبارة عن أحكام الحيض والنِّفاس، طلبة العلوم الدِّينية لا يتجاوزون في تخصصهم هذه المواضيع»[3]. فالاثنان، المودودي والخميني، قصدا تثوير الإسلام، على أن يكون حكومة تطبق الشَّريعة بما هو أكثر مما تطبقها الدُّول الإسلامية التقليدية. ننقل هنا المواقف المؤيدة لانتصار

---

(1) أبو الأعلى المودودي (ت 1979)، الحكومة الإسلامية، ترجمة: أحمد إدريس، القاهرة: المختار الإسلامي 1980 (الطبعة الأولى 1976)، ص12.

(2) مثلاً: تدوين الدستور الإسلامي، دمشق: دار الفكر، وأصل الكتاب محاضرة أُلقيت بمراكش عام 1952، ومبادئ الإسلام، الرياض: الدار السعودية للنشر والتَّوزيع 1982 (الطبعة الثانية)، كذلك يمكن اعتبار كتابه: حقوق أهل الذِّمة، تهيئة لحكومة إسلامية (صدر ضمن سلسة كتاب المختار، وتحت شعار: نحو طلائع إسلامية واعية).

(3) آية اللّه الخميني (ت 1989)، الحكومة الإسلامية، بيروت: دار الطَّليعة للطباعة والنَّشر، الطبعة الأولى، 1979 ص11.

الثَّورة الإسلامية الإيرانية مِن قِبل الجماعات الإسلامية السُّنِّية لتحقيق تلك الغاية: «حكومة إسلامية».

اعتبرت مجلات الإخوان بمصر ما حصل في (11 فبراير/ شباط 1979) ثورة إسلامية «أعادت الحسابات وغيرت الموازين»، وأنها «أعظم ثورة في التَّاريخ الحديث»[4]. كتب القيادي الإخواني السُّوداني حسن التُّرابي (ت 2016) يقول: «لقد سبقت الحركة الإسلامية السُّودانية (الإخوان المسلمون) إلى تأييد الثَّورة الإسلامية منذ حلول آية الله الخميني في باريس، حيث تتالت المساندة الإسلامية السُّودانية في نوفل لوشاتو، وانتهاء بطهران وقمَّ»[5].

كذلك يؤكد زعيم «النهضة» الإخواني التونسي راشد الغنوشي أن الاتجاه الإسلامي تبلور على يد «البنا والمودودي وقطب والخميني ممثلي أهم الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، ويعتبر أنه بنجاح الثَّورة الإسلامية في إيران يبدأ الإسلام دورة عضوية جديدة»[6]. أما الإخوان الأردنيون فكتبوا النَّثر وأنشدوا الشِّعر في تمجيد الثَّورة، داعين إلى إمامة الخميني وزعامته، ومما قاله الإخواني يوسف العظم (ت 2007): «بالخميني زعيماً وإماماً/ هدَّ صرح الظُّلم لا يخشى الحمامَ/ قد منحناه وشاحاً ووساماً/ مِن دمانا ومضينا للأمام/ نهزم الشّرك ونجتاح الظَّلام/ ليعود الكون نوراً ووسام»[7].

لم يكن هذا أول لقاء، مباشر أو غير مباشر، بين الإسلام السياسي السُّني والإسلام السِّياسي الشِّيعي، فقد سبق ذلك ما سنتعرض له لاحقاً مِن علاقة الإخوان بحركة وشخص نواب صفوي(اعدم 1955)، وما تحقق مِن اتصال بين فرعي الإخوان المسلمين وحزب التَّحرير بالعراق والشِّباب الإسلاميين الشِّيعية. يقول السَّيد

(4) انظر: عباس خامه يار، إيران والإخوان المسلمين: دراسة في قواعد الالتقاء والافتراق، ترجمة: عبدالأمير السَّاعدي، بيروت: مركز الدِّراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق 1997، ص232.

(5) المصدر نفسه، ص236.

(6) المصدر نفسه، ص237.

(7) المصدر نفسه، ص241.

طالب الرِّفاعي أحد الثلاثة المؤسسين الأوائل لحزب الدَّعوة الإسلامية (1959) في الاتصال بين الشِّيعة والسُّنة في أمر التنظيمات الإسلامية:

«انتسب إلى حزب التَّحرير مِن الشِّيعة محمد عبدالهادي السُّبَيتي، وكان قبلها منتسباً إلى الإخوان المسلمين، وهو نجل عبدالله السُّبيتي، وجده لأمه عبدالحسين شرف الدِّين، مِن أسرة علمية وأعيان جبل عامل بلبنان، وبعد حينٍ أصبح السُّبيتي مسؤولاً عن فرع التحرير بالعراق، ثم خرج منه وصار بعد حين رئيساً لحزب الدَّعوة الإسلامية. كان لقاء السُّبيتي بمبعوث حزب التَّحرير عن طريق الإخواني سابقاً والتحريري لاحقاً فاضل السُّويدي، وكان الأخير يحمل كتاب مؤسس الحزب تقي الدِّين النَّبهاني نِظام الحُكم في الإسلام، وكان هذا الكتاب يُدرّس على شكل حلقات للجماعة الذين اتصلوا بالحزب، وحينها كان السُّبيتي في السنة الثَّانية في كلية الهندسة. انتمى أيضاً، مِن الشِّيعة، إلى حزب التَّحرير الدُّكتور جابر العطا (ت 2011)، وكان في البداية قومياً مستقلاً، يوم كان يعيش بالنَّجف، ولما ذهب إلى بغداد تأثر بفكر الإخوان المسلمين، فانطلق معهم في دعوتهم وانتظم في كشافتهم. وبحكم علاقة عطا بالسُّبيتي، وأن الاثنين كانا معاً مِن الإخوان، اتصل عطا بزلوم (عبدالقديم مسؤول حزب التحرير بالعراق). بعد التَّعارف، ومرور الأيام، درس عطا على يدي كتاب معالم الأُصول واللُّمعة الدِّمشقية، عندما يأتي إلى النَّجف، وكان آنذاك ببغداد في السَّنة الثَّانية مِن كلية الطِّب، وبعدها تخرج طبيباً»[8]. كذلك يُشار إلى انضمام طلبة إيرانيين شيعة إلى جماعة الإخوان المسلمين بمصر[9].

عندما حُكم على سيد قطب (أعدم 1966) بالإعدام تحشد الإسلاميون الشِّيعة في محاولة لإنقاذه عن طريق المرجعية الدِّينية بالنَّجف، والممثلة –آنذاك– بشخص آية الله محسن الحكيم (ت 1970) بالتدخل لدى الرَّئيس جمال عبدالنَّاصر

(8) رشيد الخيُّون، أمالي السَّيد طالب الرِّفاعي، دبي– بيروت: دار مدارك للنشر، الطبعة الثَّالثة، 2013، ص98 وما بعدها. كذلك انظر: خامه يار، إيران والإخوان المسلمين، مصدر سابق، ص225.

(9) انظر: خامه يار، المصدر نفسه.

(ت 1970)، وبالفعل أبرق الحكيم برقية في هذا المضمون، ولكن لا يُعلم هل وصلت عبدالنَّاصر أم لا[10].

وما يؤكد ما ذكره الدَّعوي السَّابق طالب الرِّفاعي، في محاولة إنقاذ سيد قطب، أن الإخوان ذهبوا إلى مرجعية النَّجف الممثلة بمحسن الحكيم، وطلبوا منه إرسال برقية بهذا الخصوص، لكنه سلمهم نص البرقية التي بعثها، وبطلب من الإسلام السِّياسي الشِّيعي، وجاء فيها: «إن علماء الإسلام يجب أن يُكرموا لا أن يُعَدموا»[11].

تجدر الإشارة إلى موقف آية الله الخميني من سيد قطب، وقد زاره وفد الإخوان بالنجف طالبين منه برقية مشابهة لعبدالنَّاصر، لكنه تعذر بأن «شاه إيران يعدّه (الخميني) ويعدّ بقية المشايخ والعلماء في إيران متآمرين عليه مع عبدالنَّاصر»[12]. إلا أن ما نظنه أن الخميني لم يرد التدخل في هذا الشأن، وهو لاجئ سياسي أكثر منه فقيه دين، وكان وصل النَّجف من تركيا عام (1965)، العام الذي جرى فيه التحرك لإنقاذ سيد قطب، مع علمه عن العلاقة المتينة –آنذاك– بين الحكم القومي ببغداد والقاهرة، وهيمنة الأخيرة.

كذلك لم يتحرج الإخوان المسلمون العراقيون من ترشيحهم لرجل دين شيعي أن يكون رئيساً لحزبهم «الحزب الإسلامي العراقي»، وذلك عام 1960 لما كانوا يحاولونه من التصدي ضد حكم رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم (قُتل 1963)، والمد اليساري الجارف آنذاك[13].

ربَّما تكون مواجهة اليسار أهم دافع للتقارب بين الإسلام السياسي السُّني والمرجعيات الدينية الشِّيعية؛ فهو العدو المشترك، والمتمثل بالحزب الشيوعي العراقي (تأسس ببغداد 1934)، والمد اليساري الذي مثله بعد ثورة 14 يوليو (تموز) 1958.

---

(10) انظر: الخيُّون، أمالي السَّيد طالب الرِّفاعي، ص114 وما بعدها.

(11) إيمان عبدالحميد الدَّباغ، الإخوان المسلمون في العراق (أطروحة أكاديمية)، عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، 2011، ص625–626. حصلت الباحثة على المعلومة من رسالة موجهة إليها من أحد أقطاب الإخوان آنذاك فليح جاسم السَّامرائي، المقيم بالمملكة العربية السُّعودية.

(12) المصدر نفسه، ص626.

(13) انظر: الخيُّون، أمالي السَّيد طالب الرِّفاعي، مصدر سابق، ص106 وما بعدها.

يقول مراقب الإخوان المسلمين ومؤسسهم بالعراق محمد محمود الصَّواف (ت1992): «كنا نتعاون مع علماء النَّجف الأشرف الكبار، وذهبت إلى النَّجف مع أمجد (الزَّهاوي) مرات عدة للتعاون على نصرة الإسلام، وخصوصاً عندما انطلقت الشّيوعية وقاومت الثَّورة، وكانت صلاتنا أكبر، وكان المجتهد الأكبر محسن الحكيم (رحمه الله) وهو الإمام الكبير المُقلد، والمسؤول الكبير أصدر فتوى كبيرة في تكفير مَن اعتنق الشيوعية[14]، وكنا كُلما اجتمعنا لأمر إسلامي كانوا معنا»[15].

ما تقدم كان مدخلاً لما سنأتي عليه، من علاقة بين الإخوان المسلمين وحركة «فدائيان إسلام» بزعامة نواب صفوي، وحدثها ببغداد الذي لم يُكتب -على حدِّ ما اطلعتُ عليه- وقد وصل إلى تشكيل خلية عمل لإنقاذ صفوي من حكم الإعدام. كتب تفاصيل ذلك الحدث أحد المحسوبين على الإخوان العراقيين -آنذاك- الشَّيخ معن شناع العجلي، وسنقدم للموضوع بتعريفين للشيخ العجلي ولصفوي، ثم الحدث الأهم في موضوعنا هذا.

معن العجلي

ولد الشَّيخ معن بن شنَاع العجلي بالعراق في منطقة سوق الشّيوخ (1923)، وتعلم في كتاتيبها. قُتل والده وهو لا يزال طفلاً، ولد ونشأ بمكان مختلط المذاهب والأديان، فكان إلى جانب الشِّيعة الإمامية تعيش جماعة حنبلية نجدية، أسسوا مدينة إلى جانب سوق الشيوخ عُرفت بالخميسية، وقريباً من ديار الشَّيخ معن يعيش آل السعدون بالناصرية، وقد تسمت المدينة باسم أحد وجهائهم، وهم فقهياً يتعبدون على المذهب المالكي، وإلى جانب الشِّيعة والسُّنة تعيش الجماعة الدِّينية المعروفة

(14) أعطيت هذه الفتوى لرجل بزاز كان يُقلد المرجع محسن الحكيم، وأراد الانتماء للحزب الشيوعي العراقي فأجابه كتابةً: «بسم الله الرحمن الرَّحيم، لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشّيوعي، فإن ذلك كفر وإلحاد، أو ترويج للكفر والإلحاد، أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وأزادكم إيماناً وتسليماً، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته (12 شباط/ فبراير 1960)»، نشرتها صحيفة «العراق» ببغداد 22 آذار(مارس) 1960، وبعد النزاع بين الأحزاب وشدة مواجهة رجال الدِّين أُخذت هذه الفتوى من الرَّجل المستفتي ونُشرت في الصحف المعادية للحزب الشيوعي بعد غضب سلطة عبدالكريم قاسم على الأخير (انظر: الخيُّون، أمالي السيد طالب الرِّفاعي، مصدر سابق، ص183 وما بعدها).

(15) محسن عبدالحميد (رئيس الحزب الإسلامي السابق)، الإخوان المسلمون في العِراق 1945-2003، عمان: دار المأمون للنشر والتَّوزيع، 2011، ص215، عن الصواف، سجل ذكرياتي.

بالصَّابئة المندائية[16].

ما سمعته من السَّيد طالب الرِّفاعي أن العجلي تحول من المذهب الشِّيعي إلى المذهب السُّنّي، وذكر لي قصة ترشيحه لرئاسة الحزب الإسلامي العراقي، وكان مبعوث الإخوان إليه شخص يُعرف بمعن العجلي[17]، وبما أن المعلومة خطيرة بالنسبة لكلِّ دارس أو باحث في الإسلام السِّياسي، وما يحدث من طائفية متأصلة في النفوس في زمننا هذا، سألت الرّفاعي عن العجلي، فقال: سمعتُ أنه توفي، وكان غير متأكد، فأخذتُ أبحث عنه لعلي أعثر على سبب يوصلني إليه، كي أوثق تلك المعلومة، التي أسرع إلى تكذيبها بعض من المهتمين، مِن الشِّيعة والسُّنَّة، وعلى وجه الخصوص مَن ضاق مما فضحه الرِّفاعي مِن أمر الإسلام السِّياسي.

حصلت المفاجأة أن ألتقي بالشَّيخ معن العجلي في أكتوبر (تشرين الأول) 2012 بقطر، وكنت أحضر حينها مؤتمراً يجمع بين الإسلاميين والعلمانيين أقامه «المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات». تقدم مني رجل خمسيني، كان يعرفني بالاسم والرّسم، وقدم نفسه قائلاً: عمر معن العجلي. كأني قبل أن أرد عليه التَّحية سألته سؤال المتلهف: أين والدك؟! قال موجود بالدَّوحة. قلت: لا بد من رؤيته، فرحب والتقيت به في اليوم التَّالي (8 أكتوبر/ تشرين الأول 2012)، رحب بي لأمرين: أولاً: كان يعرف أسرتي وقبيلتي القاطنة قريباً مِن سوق الشّيوخ حق المعرفة، وثانياً: لتطابق رأيينا ضد الطَّائفية، وكان يقرأ ما كنت أكتبه في صحيفة «الشَّرق الأوسط»(2003-2009).

وقبل البدء بالحديث والجلوس إلى المائدة الكريمة التي أكرمني بها، استفسرتُ منه، عن مدى معرفته بالسيد طالب الرِّفاعي، فقال: أعرفه حق المعرفة، وأثنى عليه، ثم أردفته بالمفيد القادم مِن أجله: هل ذهبت رسولاً إليه من قِبل الإخوان المسلمين عند مؤتمر تأسيس حزبهم كي تعرض عليه أن يكون مرشحاً لرئاسة حزبكم؟ قال: نعم ذهبت وقص عليَّ بما لم يزد به الرِّفاعي.

---

(16) انظر ما كتبه العجلي عن جزء من سيرته الذاتية في كتابه الخميسية وما حولها حوادث وأنساب، الدَّوحة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص16 وما بعدها.

(17) انظر: أمالي السيد طالب الرِّفاعي، مصدر سابق، ص106 وما بعدها.

ثم سألته عن تحوله المذهبي فقال: نحن في الأصل كنا سُنة فعدنا سُنة وقطع الإجابة، وتحرجتُ أسأله أكثر من ذلك، وما يعني بمفردة «كنا»؟ شيد العجلي وسط بحر من الشِّيعة مسجداً أسماه مسجد عمر بن الخطاب، وظل مفتوحاً، وأدى إلى اغتيال ولده مثنى بسبب طائفي. لم يستمر إخوانياً، بل استمر ملتصقاً بالفكر القومي وبشدة حتى لحظة لقائي به، وعلى أغلب الظَّن أنه خرج من جماعة الإخوان المسلمين العراقيين بعد 1960، سألته عن ذلك فقال: إنه أتى إلى اجتماعهم فمنعوه من الدخول، وكان الخلاف قد دب بينه وبينهم، وأرى أن مثل شخصية العجلي لا تحتويه جماعة ولا يضبطه تنظيم، تراه نشطاً فعلاً لا يُقاد وهو في عزِّ شبابه.

كان الشَّيخ العجلي قومياً متعصباً لمآثر العروبة، وهذا الذي قاده إلى تبني الفكر الإسلامي، حسب ما أفسر ذلك، كان يجمع بينهما بقوة، له صلات قوية بعلماء الشِّيعة، وفي الوقت نفسه له بينهم مبغضون بسبب شدة عروبته حتى مدح الأمويين، على أنهم مثلوا العروبة في دولتهم. إلى جانب ذلك كان ضد مظاهر المدَنيَّة العريقة ببغداد من الغناء والموسيقى، بل يحرض في كتاباته ضد الموسقى والفن الغنائي، غناء أم كلثوم[18]، مع أنه لا يبدو عليه ذلك، تجده مرحاً شفافاً سهل المعشر، وعندما رأيته أول مرة بلباسه العربي حضرت صورة زهير بن أبي سُلمى أمامي، وهو يطوي البادية، وقد أعجبه وصفي هذا له فيما كتبته عنه. كنت وما زلت آملاً بتسجيل ذكرياته معه، على أن تصدر كما أصدرتُ أمالي صاحبه السيد طالب الرِّفاعي، وبالعنوان نفسه «أمالي الشيخ معن العجلي»، لكن لم يحصل ذلك حتى هذه اللَّحظة.

ترمز أسماء أولاده إلى شدة عروبته، فمن النَّادر أن تجد اسمَ عراقيٍّ أو عربيٍّ -على العموم- «المهلب»، نسبة إلى القائد العربي الذي قهر الخوارج: المهلب بن أبي صفرة (ت 82هـ)، والمثنى، والخنساء، واسم حفيده حذيفة. وفي شدة الانتقام الطائفي قُتل المثنى بسوق الشيوخ (2005)، بعد أن عاد من الخارج كي يستقر في دار والده ويخدم المسجد المذكور سلفاً، وكان يعمل رباناً في البواخر، ويُجيد أكثر من لغة[19].

(18) انظر: العجلي، الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح، طبع خاص: 2012، الفصل: أنحن أُمة القرآن أم أُمة الفن، ص243.

(19) انظر: مقال كاظم فنجان الحمامي: معن العجلي سار على طريق الاستقامة فنال الشَّهادة، موقع مؤسسة النور للثقافة والإعلام،

ردَّ الشَّيخ العجلي، وهو يذكر لي مقتل مثنى بسبب طائفي: لا أُعاديهم، قتلوا ولدي، وهذا ما حصل، المهم أن يبقى العراق. مما صدر له من كُتب: «كنت في سيلان»، «دروس في القومية العربية»، «بلوجستان بلاد العرب»، «خطوة خطوة مع الجيوش العربية»، «ماذا في شمال العِراق»، إضافة إلى كتابيه: الفكر الصحيح، والخميسية.

بعد حين اتصل بي الشيخ العجلي تلفونياً يُخبرني عن صدور كتابه «الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح»، وهو ما أفاض فيه بكتابة قصة الإخوان ونواب صفوي، وتسلمتُ الكتاب من حفيده حذيفة، كان ذلك في (2013)، وقد بلغ الشيخ العجلي التسعين حينها، والكتاب أصل مادة موضوعنا هذا.

نواب صفوي

ألهب مجتبى نواب صفوي الحماس الثَّوري الدِّيني، قبل تحرك آية الله الخميني، بنحو عشرين عاماً، فالخميني لم يعلن نشاطه السياسي إلا بعد وفاة المرجع حسين البروجردي (ت 1961)، والسبب حسب أحد أقطاب الحكومة الدينية بعد الثَّورة، علي أكبر هاشمي رفسنجاني (ت 2017): «لو أن الخميني في عصر السيد البروجردي تدخل في الصِّراعات السِّياسية لما نجح، لعدم الانسجام بينهما، ولضاعت الفرص المستقبلية، وقد عرفت في ما بعد أن الخميني كان يحسب حساب المستقبل»[20]. فأول عمل سياسي ظاهر مارسه الخميني كان في (1963)[21]، في مواجهة «الثَّورة البيضاء» الإصلاحية[22]، وقد نفي من إيران إلى تركيا (1964)، ولم يكتب رسالته الفقهية، التي تؤهله لدرجة الاجتهاد ونيل مرتبة آية الله إلا عام (1965) المعنونة «تحرير الوسيلة»، وهو لا زال يقيم بتركيا[23].

المؤرخ في 2014/11/8 على الرَّابط التالي:
http://www.alnoor.se/article.asp?id=258594

(20) علي أكبر رفسنجاني، حياتي، ترجمة: دلال عباس، لندن: دار السَّاقي، الطبعة الأولى، 2005، ص38.

(21) سعد الأنصاري، الفقهاء حُكام على الملوك علماء إيران من العهد الصفوي إلى العهد البهلوي (1500–1979)، دار الهدى، الطبعة الأولى، 1986، ص221.

(22) انظر: فرح بهلوي، مذكرات، ترجمة: أكرم يوسف، القاهرة: دار الشُّروق، 2010، ص112 وما بعدها. رفسنجاني، حياتي، مصدر سابق، ص61 وما بعدها.

(23) فهمي هويدي، إيران من الدَّاخل، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنَّشر، الطبعة الأولى، 1987، ص21.

ولد مجتبى مير لوحي نواب صفوي العام 1924 بـ«منطقة خاني آباد جنوب طهران في عائلة دينية علمية، وترعرع تحت كنف عمَّه بعد وفاة والده، وانتقى لقب والدته نواب، ودخل هذا السيد الجليل مدرسة حكيم نظامي، ثم انتقل إلى المدرسة الصناعية الألمانية، ودرس في فرع الميكانيك، وخرج من هذه المدرسة ذاهباً إلى آبادان للعمل هناك، وعمل في شركة النفط»[24].

هذا ومن المستبعد أن تكون ولادة صفوي العام (1932) مثلما ورد في إحدى الموسوعات الخاصة بالجماعات الدِّينية، غير الموثقة[25]. فلا يمكن أن يكون بهذا العمر ويقدم على محاولة اغتيال، وينظم جماعة فدائية شغلها الاغتيالات، ويرتب تظاهرة كبرى تعترض الصَّلاة على جثمان والد الشَّاه رضا شاه المتوفى سنة 1944 مثلما سيأتي ذِكر ذلك، وقد ذكر مؤلف الموسوعة عام الولادة مرتين بهذا الرَّقم، مما يجعلنا نستبعد حصول خطأ غير مقصود فيه.

رحل صفوي بعد ذلك إلى النَّجف، وهناك التقى بالفقيه عبدالحسين الأميني (ت 1971)، المشهور بكتابه «الغدير»، وظهر حينها الكاتب أحمد كسروي (قُتل 1946)، بآرائه المخالفة لرجال الدين والمتحررة من التَّدين السائد بإيران، وله رأي بالدين ككلّ، فأفتى الأميني وغيره بتكفيره عليها، فعاد صفوي إلى إيران لتنفيذ الفتوى به، وأطلق عليه النَّار لكنه لم يقتله، فاعتقل بسبب ذلك ثم أُطلق سراحه، ونفذ أحد أعضاء منظمة صفوي «فدائيان إسلام» فتوى القتل بكسروي[26]، في مارس (آذار) 1945.

---

(24) الشهيد نواب صفوي العالم المجاهد، موقع دار الولاية للثقافة والإعلام، على الرابط التالي:
http://alwelayah.net/?p=15069

(25) أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2004، ص330.

(26) نواب صفوي العالم المجاهد، موقع دار الولاية للثقافة والإعلام، على الرابط التالي:
http://alwelayah.net/?p=15069.

مِن غير الصَّحيح أن الخميني، آنذاك، هو الذي أفت بقتل كسروي، ومَن كتب ذلك لا يعينه التَّحقيق أكثر مما يعنيه الإثارة الصحافية، مثلما جاء في مقال للكاتب الإيراني مير طاهري، فآنذاك لم يكن وجوداً للخميني مِن حيث الشّهرة أو الاجتهاد كي يمكنه مِن إصدار فتوى. (مير طاهري، السيرة الإرهابية: من بعوضة فولتير وإلى الخميني وشرم الشيخ، الشَّرق الأوسط، العدد 9740 والمؤرخ في 29 يوليو (تموز) 2005).

كان نواب صفوي بثوريته الهائجة محط إعجاب مَن صارت له منزلة كبيرة في الثَّورة الإيرانية، وفي مقدمتهم علي أكبر رفسنجاني (ت 2017)، صاحب المناصب الكبرى: رئيس البرلمان، ورئيس الجمهورية، ورئيس مصلحة النظام، فأول المؤثرات الثَّورية عليه كانت من فدائيي إسلام. يقول رفسنجاني: «كان نواب بالنسبة لنا مقدساً»[27]. فمن جرأة صفوي أنه وجماعته حاولوا منع وصول جنازة الشَّاه الأب رضا بهلوي (ت 1944) لطوافها، كما جرت العادة لدى الإمامية مع جنائز الموتى، في مرقد السَّيدة معصومة[28] بقمَّ، وقيل كان هذا التصرف مسنوداً من رجال الدين بمدينة قُمَّ، وشارك فيه رفسنجاني نفسه[29]، وربَّما هذا العمل الأول الذي مارسته جماعة صفوي بشكل فاضح ضد السلطة، يوم كانت في عزِّها.

كان لدى منظمة صفوي صحيفة تسمى «منشور برادى»، أي نشرة الأخوة، ولها كتاب أساسي تحت عنوان «بيان فدائيان إسلام»، أو «دليل الحقائق»، طبع الكتاب عام (1950)، وكان صفوي قد أعلن الثورة المسلحة ضد النظام، على أنه نظام خائن، وفي رأيه أن إيران دولة إسلامية، ونظام الشَّاه مغتصب لها. قامت فدائيان إسلام بموجة من الاغتيالات، والبداية كانت بالكاتب أحمد كسروي، ثم طالت مسؤولين كباراً من النِّظام بينهم رؤساء وزراء، وقد آزر صفوي بعض رجال الدين الثَّوريين، وقد اعتقل وأُطلق سراحه عام 1953 [30]. مما يُذكر، وما يتبين من أرشيف صوره، أنه كان يضع العمامة بشكل مختلف عن بقية معتمري العمائم، يدفعها على رأسه إلى الوراء[31]، ولم يحصل في حياته على دراسة دينية تصله إلى الاجتهاد أو يستحق بها لقب عالم أو إمام مثلما سماه مرشد الإخوان المسلمين عمر التلمساني، وذلك عند زيارة القاهرة[32]، فقد ترك دراسته بالنجف ليعود ويمارس الاغتيالات والعنف بإيران.

---

(27) رفسنجاني، حياتي، مصدر سابق، ص41-42.

(28) فاطمة بنت موسى الكاظم، ومن ألقابها المعصومة (ت 201هـ)، أخت الإمام الثامن لدى الشيعة الإمامية علي بن موسى الرضا، وقد توفيت هناك يوم كان أخوها ولياً لعهد المأمون ويقيم معه بخراسان.

(29) رفسنجاني، حياتي، مصدر سابق، ص41.

(30) هويدي، إيران من الداخل، مصدر سابق، ص23-24.

(31) رفسنجاني، حياتي، مصدر سابق، ص41.

(32) خامه يار، إيران والإخوان المسلمين، مصدر سابق، ص224.

غادر نواب صفوي إيران العام 1954 في جولة التقى فيها قيادات الإخوان المسلمين، ونزل القاهرة وخطب في مؤتمر أو اجتماع الإخوان في جامعة القاهرة في 12 يناير (كانون الثَّاني) 1954 [33]، وكانت مناسبة السَّفر لحضور مؤتمر القدس الإسلامي. تجاوز الإخوان المسلمون ومنظمة «فدائيان إسلام» الحاجز الطائفي، وقد سبق ذلك نشاط بين الأزهر ومرجعية قمَّ بوجود شيخ الأزهر محمود شلتوت (ت 1963) والمرجع حسين بروجردي(ت1961)، وحصل أن أفتى شلتوت أو ردَّ على أحد المستفتين بجواز التعبد بالمذهب الإمامي الشِّيعي، وقد نُشرت صورة الفتوى بشكل واسع عبر الكتب والصحف، ومن نصها: «إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التَّعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السُّنَّة»[34]، وكان العمل المشترك تحت عنوان «التقريب بين المذاهب»، لكن لم يكن ذلك فعلاً سياسياً، إنما دخل فيه الإخوان المسلمون كعمل مِن أجل الوحدة الإسلامية، وتأتي قضية فلسطين في الواجهة، بعد أن اعترف نظام شاه إيران بدولة إسرائيل (1960)، وقُطعت العلاقات بين مصر وإيران بسبب ذلك[35].

لم يتحرج نواب صفوي، وهو يخطب في جمع مِن الإخوان المسلمين وجمع مِن السُّنَّة والشِّيعة بسورية، وبحضور مراقبهم العام مصطفى السُّباعي (ت 1964)، من القول: «مَن أراد أن يكون جعفرياً حقيقياً فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين»[36]. حتى وصل التوافق إلى عدم حرج مِن أن بعض الإخوان المسلمين المصريين رشحوا شخصيات إسلامية إمامية شيعية «لزعامة الإخوان المسلمين»[37]، ولا يستبعد ذلك إذا علمنا أن الإخوان المسلمين العراقيين قد رشحوا رجل دين إسلامي شيعياً لرئاسة حزبهم «الحزب الإسلامي العراقي»[38]، مثلما تقدم ذكر ذلك.

---

(33) المصدر نفسه، ص225.

(34) هويدي، إيران مِن الداخل، مصدر سابق، ص327، صورة طبق الأصل لفتوى شلتوت.

(35) خامه يار، إيران والإخوان، ص221.

(36) المصدر نفسه، ص225 عن آخرين.

(37) المصدر نفسه، ص24.

(38) انظر: أمالي السيد طالب الرفاعي، مصدر سابق، ص106 وما بعدها.

اعتبر الإخوان المسلمون نواب صفوي شهيداً، ومعلوم أن صفة الشَّهيد، على وجه الخصوص عند الإسلاميين، لها وقعها ومنزلتها ومكانها وتختص بهم لا بغيرهم، بمعنى أنها من المقدسات، وبهذا المضمار كتبت مجلة «المسلمون» الناطقة باسم الإخوان المسلمين عند إعدام نواب صفوي (نهاية 1955) الآتي: «والشَّهيد العزيز -نظر الله ذكره- وثيق الصِّلة بالإخوان المسلمين، وقد نزل ضيفاً في دارها في مصر، في كانون الثَّاني/ يناير 1954... إنه حين يضطهد الطُّغاة رجال الإسلام في كلِّ مكان يتسامى المسلمون فوق الخلافات المذهبية، ويشاطرون إخوانهم المضطهدين آلامهم وأحزانهم، ولا شك أننا بكفاحنا الإسلامي نستطيع إحباط خطط الأعداء التي ترمي إلى التفريق بين المسلمين»[39].

إذ كان الإخوان المسلمون يجلون نواب صفوي كل هذا الجلال، وهم بهذا لا يرون في قتيله أحمد كسروي إلا خارجاً عن الدِّين زنديقاً، فإن مَن عدوا من السروريين، وهم المتألفون من مقالات السَّلفية والإخوان وارتبطوا بالإخواني السوري محمد سرور (ت 2016)[40]، يرون في كسروي مدافعاً عن الإسلام فاضحاً لمذهب الشِّيعة الخمينية، ومنهم السروري الصَّحوي سلمان بن فهد العودة، الذي حقق كتاب كسروي «الشِّيعة والتَّشيع» مع ناصر عبدالله القفاري، وأصدراه عام (1988)، على الرغم من اعترافهما في مقدمة الكتاب بأنه أخطأ في بعض العقائد التي تهم الإسلام عامة، كظهور المسيح مثلاً، والخطأ في الآيات، وواضح من شرحهما تحت العنوان، بأن المقصود الثَّورة الإيرانية، قالا: «عالم إيراني شيعي الأصل يكشف حقيقة مذهب خميني وطائفته». وأكثر من هذا وشحا صفحة الكتاب الأولى بالعبارة: «لم يظهر في عالم الشّيعة أحد في عياره منذ ظهر اسم شيعي على وجه الأرض»[41].

كان صفوي قد أنشأ منظمته، التي ستصنف في مفاهيم هذه الأيام، بالإرهابية، لأنها تعتمد الاغتيالات، وتُذكر بالنَّزاريين جماعة حسن الصَّبَّاح (ت 518هـ)، التي

(39) خامه يار، إيران والإخوان المسلمين، ص226-227 عن مجلة المسلمون، العدد: 1، المجلد: 5، القاهرة: أبريل (نيسان) 1956، ص73-76.

(40) راجع: كتاب المسبار، دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، العدد الأول، يناير (كانون الثَّاني) 2007 بحث: عبدالله بن بجاد العتيبي، السرورية، ص9 وما بعدها، وبحث: يوسف الدَّيني: سرور.. رحل مِن بريدة وبقيت أفكاره، ص41 وما بعدها.

(41) أحمد كسروي، الشّيعة والتَّشيع، تحقيق وتعليق: ناصر القفاري وسلمان العودة، طبع خاص: الطبعة الأولى، 1988.

نالت خناجرها العروش كافة، الفاطمي والعباسي والسُّلجوقي والأيوبي، لكن بعد مئتي سنة من غرس الخناجر في النحور وسكنى القلاع ذات الأنفاق السِّرية، لم يشيدوا نظاماً ولم يروا نوراً[42]، ومع هذا فحركة «فدائيان إسلام»، لم تكن حركة عابرة في تاريخ إيران المعاصر.

لا نريد الاسترسال في علاقة زعيم فدائيان إسلام بالإخوان المسلمين، وما يتفق به مع سيد قطب وغيره من أقطاب الإخوان آنذاك، لأننا حددنا الموضوع بالخلية التي حاولت إنقاذ نواب صفوي من الإعدام، والمؤثرات الأُخر التي جعلت من صفوي عدواً لنظام الشَّاه، وبهذه الحدة، وكان المنطلق وجود الدِّيانة البهائية، وعلى اعتقاد أنها في سلم السلطة، لذا صدر من قرارات الثورة الحكم بالإعدام على البهائيين بإيران، بعد أن كانت ديانة شبه علنية، وفي هذا الأمر صرح مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الحرية الدِّينية روبرت سيبل قائلاً: «... يضع إيران في قسم خاص بها، حيث يوجد اضطهاد مستمر ومنهجي ضد البهائيين. ونحن نأمل في أن تتحسن الأوضاع هناك»[43]. كما أن الدّستور الإيراني، بعد الثَّورة، في مادته الثالثة عشرة لا يعترف إلا بثلاث ديانات فقط: اليهودية والمسيحية والزرادشتية فقط، ليس بينها البهائية ولا الصَّابئية المندائية[44]. ما يخص البهائية ودوافع عداء نواب لها ما سنجده في ما كتبه الشَّيخ معن العجلي، الذي كان أحد أعضاء تلك الخلية الإخوانية ببغداد.

تحريض نواب صفوي من بغداد

ما زالت صفحات من تاريخ للحركة الإسلامية غير مدونة، والحركات السِّياسية والحزبية المعاصرة على العموم، وهي صفحات مهمة تفيد الباحثين في هذا المجال، فالآراء والأفكار عادة تبنى على ما سُجل من حوادث، وبعد قراءتي لكتاب للشَّيخ العِراقي معن العجلي قلت لنفسي: «كم من التَّاريخ غُيب في صدور الرِّجال،

(42) رشيد الخيُّون، لا إسلام بلا مذاهب وطروس أُخر، بيروت- دبي: دار مدارك للنشر، 2011، الطرس الخامس: الانتحار من أجل الجنَّة، ص107.

(43) جريدة القدس العربي، العدد (3113)، تاريخ: 12 مايو (أيار) 1999.

(44) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق: المركز الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ص44.

ومنهم مَن رحلوا وطويت حوادثه معهم، لم ينتفع به أحد». ففي الكتاب صفحة من اللقاء الحركي السُّني والشِّيعي، يوم كان نشطاء تلك الحركات في الخمسينيات، من القرن المنصرم، يستعجلون الزَّمن لخطف السُّلطة، من إيران إلى مصر، بغض النَّظر عن الطائفة أو المذهب، من دون التفكير للحظة، ما إن دانت لهم الرِّقاب إلا وتباينت الآراء واختلفت العواطف وسُلت السُّيوف بينهم البين.

فمعلوم أن أمر الإمامة شيء مهول، لا يمرّ طلبه بسلام، وبالفعل ما إن تربعت القوى الدينية على عرش إيران إلا ونُقش في الدُّستور قرار الإمامة، مع تأكيد أبدية المادة الخاصة بالمذهب، جاء في المادة الثَّانية عشرة من الدُّستور الإيراني: «الدِّين الرَّسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثنا عشري، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير»[45].

كذلك تقرر في الدُّستور أن تكون عقيدة الحُكم عقيدة دينية مذهبية على ولاية الفقيه؛ جاء في المادة الخامسة من الدُّستور: «في زمن غيبة الإمام المهدي، عجل الله تعالى فَرجه، تُعتبر ولاية الأمر وإمامة الأُمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل المتقي البصير بأُمور العصر»[46]. جاءت هذه المادة بعد مادة الحاكمية الإلهية، وهي المادة الثَّانية من الدُّستور: «يقوم نظام الجمهورية الإسلامية على أساس: 1- الإيمان بالله الأحد (لا إله إلا الله) وتفرده بالحاكمية والتَّشريع، ولزوم التَّسليم لأمره». ثم تأتي بعد هذا الأصل الأصول الأربعة الأُخر، وبينها الإمامة والعدل[47]، وهما خاصتان بالمذهب الإمامي. بطبيعة الحال، الولي الفقيه المذكور هو من المذهب الإمامي، وكذلك يشترط في رئيس الجمهورية (المادة 115 الفقرة الخامسة) أن يكون «مؤمناً ومعتقداً بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد»[48].

(45) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مصدر سابق، ص43.

(46) المصدر نفسه، ص40.

(47) المصدر نفسه، ص37.

(48) المصدر نفسه، ص110.

لقد أفادنا الشَّيخ العجلي نفسه في كتابه «الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح» بفصل آخر من التاريخ الدِّيني السِّياسي، أراه يُكتب لأول مرة، فعندما تقرأ تاريخ الإخوان أو تاريخ الإسلام السِّياسي الشِّيعي لا تعثر عليه، وربَّما فيه حراجة لهم في هذه الأيام لطغيان الطَّائفية، والافتراق بين الإسلام السياسي الشيعي والإسلام السياسي السُّني بما وضحناه أعلاه بعد انتصار الثَّورة.

فتشنا في العديد من كتب تاريخ الإخوان المسلمين فلم نجد أثراً فيها لنواب صفوي نفسه ولا لمنظمته، ولا لصلته بالإخوان على العموم، مثلما قيل فيه من مدائح قبل الثَّورة وانحيازها المذهبي، لكن شخصاً مثل الشَّيخ العجلي لا يتحرج من سرد التَّاريخ، فالعراق يجري في عروقه، وعاش في منطقة أهلته لأن يكون قريباً من المشارب كافة، فكان ما يهمه، في الأيام الخوالي، العروبة أولاً، بشيعتها وسُنتها، مثلما تقدم الحديث عن ذلك، ومنطلقاً بها من العراق.

إنها قصة الصِّلات بمجتبى نواب صفوي (أعدم 1955)، الذي -حسب ما قرأت عن نشاطه- لو بقي على قيد الحياة لربَّما لا يكون آية اللّه الخميني (ت 1989) في الموقع الذي عرفناه، فصفوي صاحب عمامة سوداء أيضاً (من السَّادة)، وعالم دين، ومفوه في الخطاب عربياً وفارسياً، وجريء جداً في مواقفه إلى حد التهور. أسس «فدائيان إسلام»(1945)، وإن العنوان الذي اختاره العجلي للفصل الخاص به كان عنواناً رهيباً: «محطم العرش البهلوي»، يثير الفضول في البحث عن هذا الرَّجل.

يقول العجلي: «كنتُ في سنين كثيرة عابئاً بأخبار فدائيان إسلام، وحريصاً على متابعة وقائع المجتبى نواب صفوي، حتى سمعتُ من وكالات الأنباء بسفر السَّيد المجتبى نواب إلى القاهرة، واحتفاء الإخوان المسلمين به، وكيف أهاب بالإخوان المسلمين إلى الثَّورة بخطابه المثير المؤجج للعواطف الذي تناقلته الأخبار، وما جرى عليه، بعد ذلك، من تجاوزات السُّلطات المصرية، وتعريضه إلى الحبس والإهانة. كنتُ في ذلك الزَّمان شاباً أصرف أيام عمري في الحماسة للحركات العربية الإسلامية»[49].

(49) العجلي، الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح، مصدر سابق، ص338.

وصل نواب بغداد، وتحققت أُمنية الشَّيخ العجلي المعجب بثورية صفوي الإسلامية، قال: «ما راعني في يوم مِن الأيام، عام 1954، مفاجأة إذ كنت في فندق شعبي واقع على شط دجلة مِن جانب الكرخ، حُذوة من ساحة السّويدي اسمه فندق الوحيد، إلا والمرحوم محمد حامد الصَّواف (مِن كبار علماء العراق، المراقب العام للإخوان المسلمين/ العجلي) يناديني بصوت جهير، وأنا قاعد في مكاني مِن الفندق. يا فلان يا فلان، تعال تعال، سلم على قائد فدائيي الإسلام، هذا هو المجتبى نواب صفوي، وإذا بهم المرحوم عبدالرَّحمن خضر المحامي مدير الأوقاف العام مع نُخبة مِن الرِّجال بينهم شاب نحيف الجسم، شاحب الوجه، مُقطب الملامح، يعتمر عمامة سوداء، فسلمتُ على الجميع، ودخلتُ معهم حجرة في هذا الفندق مُعدة لهذا الضَّيف، بثلاثة أسرة له ولرفيقيه: يزدي ولوحي، اللذين أُعدما معه في طهران بعد زيارته بغداد»[50].

كان نواب صفوي منفعلاً مما حصل له وللإخوان المسلمين بالقاهرة، ويُردد عبارة: «تحيا مصر لكن بالقرآن»، يقولها ويبكي! بعدها ألقى الشَّيخ محمد محمود الصَّواف(ت1992) كلمة الترحيب به «وهو (صفوي) غائب عما حوله بنشوة انفعالاته الهائجة بمرارة الذكريات مِن زيارته لمصر»[51]! ثم تكلم صفوي، وغرفة الفندق لا تتسع للخطابات، لكنها تحولت إلى قاعة للاحتفال به، ومما قاله للإخوان المحيطين به: «إنكم أيها الأحباب لا تعلمون بالخطر المُهدد للإسلام في إيران. فإن محمد رضا بهلوي ملك إيران يعمل ليل نهار على جعل البهائية هي الدِّين الرَّسمي في إيران»[52]. كان يقسم غاضباً «إنه سوف يقتل الشَّاه ويقتل رئيس وزرائه حسين علاء»[53]. كان يقول: «الله أكبر الله أكبر، أهذه هي بغداد، أين مضمار الخيول، وصليل السّيوف»، وواصل الهتاف «تحيا مصر لكن بالقرآن»[54].

---

(50) المصدر نفسه، ص338-339.

(51) المصدر نفسه، ص339.

(52) المصدر نفسه.

(53) المصدر نفسه.

(54) المصدر نفسه، ص340.

في الوقت نفسه كان يزور بغداد من الجزائر الإخواني المعروف الفضيل الورتلاني (ت 1959)، والشَّيخ الدَّاعية محمد البشير الإبراهيمي (ت 1965)[55] رئيس جماعة العلماء المسلمين بالجزائر. فتقرر من قِبل مراقب الإخوان العراقيين الصَّواف أن يُقام حفلٌ خطابي بالمناسبة في جامع الإمام أبي حنيفة، حيث محلة الأعظمية ببغداد، وحصل على رخصة لقيام هذا الحفل، من رئيس الوزراء – آنذاك- محمد فاضل الجمالي (ت 1997)، وكان الضيف الأول نواب صفوي، لكن تقديراً لسن الإبراهيمي أرتقى المنبر بعده، وقدم للحفل الصواف بكلمة ترحيبية، وكان العجلي أحد الحضور، وكتب مقالاً عن المناسبة في جريدة «السجل».

جاء في كلمة صفوي أمام حفل عام، ما لم يصبر عليه حاكم وخصوصاً أنه كان ضيفاً، فـ«شرع يهدد زعماء العرب بالقتل والتَّدمير، يقسم بالله من على المنبر أن يقتل الشَّاه ويقتل وزراءه». ثم وجه كلامه إلى رئيس وزراء العراق، ولم يكن من حاضري الحفل، قائلاً: «ليعلم رئيس الوزراء فاضل الجمالي وساداته، الذين وظفوه بأني سوف أُحطم رؤوس أعداء الله من حُكام المسلمين، الذين لا يحكمون بما أنزل الله»[56].

كان يعلن عمَّا سيفعله بطهران: «سوف تسمعون أخباري عمَّا قريب، سوف تهز أخباري بغداد عندما أقتل الشَّاه وأتباعه». يقول العجلي: «وفي اليوم الثَّاني ظهرت بعض أقوال مجتبى في الصُّحف البغدادية»[57]. لكن لم يحصل أن اعتقل أو سأله أحد من السلطة العراقية، وكان الوقت ترتيبات لعقد حلف بغداد، وانضمام إيران إليه.

خطة الإخوان لإنقاذه

قفل نواب صفوي هو وصاحباه عائداً إلى إيران، وما إن وصلها دبر محاولة اغتيال رئيس الوزراء الإيراني حسين علاء (1955)، أصيب بجرح، وحضر اجتماعات

(55) عدنان محمد سلمان الدليمي، آخر المطاف سيرة وذكريات، عمان: دار المأمون للنشر والطباعة، (بلا تاريخ طباعة)، ص69. يذكر الإخواني حينها الدليمي وجود الإبراهيمي في ذلك الوقت بالعراق.

(56) العجلي، الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح، مصدر سابق، ص341.

(57) المصدر نفسه.

حلف بغداد مضمد الكتف[58]. ألقي القبض على صفوي وحكم عليه وعلى آخرين بالإعدام. فتحرك الإخوان المسلمون لإنقاذه، ولو باختطافه من سجنه. حضر لهذه المهمة عدد من قادة فروع الإخوان المسلمين، ومنهم علي الطنطاوي (ت 1999)، وسعيد رمضان البنا (ت 1995)[59]، وكمال شريف (ت 2008)، مع جماعة من «فدائيي الإخوان المسلمين»[60]. عدا مَن لم يتذكر العجلي أسماءهم. على أن كمال شريف كان على صلة مع أحد السجانين في السجن الذي اعتقل فيه صفوي، لتدبير تهريبه[61]. أقول: كم كان الأمر على مستوى من الأهمية لدى الإخوان المسلمين بالمنطقة أن يحضر سعيد رمضان سكرتير حسن البنا الشَّخصي وزوج ابنته إلى بغداد لإنقاذ نواب صفوي؟!

تنادى الإخوان المسلمون، من مختلف الفروع، للاجتماع في «جمعية الأخوة الإسلامية» ببغداد، جمعهم مراقب الإخوان العراقيين الصَّواف، «فأقروا بينهم خطة الجسارة والإقدام المرسومة من قبل كامل شريف الجدير المحنك لمراس هذه المعاضل»، لإنقاذ صفوي بالتخطيط لاختطافه من معتقله.

استنفر قادة الإخوان المسلمين، وبغداد كانت مقر التَّحرك، وإلى جانب خطة الإنقاذ بالاختطاف، سعى الإخوان لدى الحكومة العراقية والمراجع الشِّيعية، لما لها من تأثير بحكم المذهب على حكومة إيران، ولدى الحكومة العراقية بما لها من علاقات ممتازة –آنذاك– مع المملكة الإيرانية، التي كانت تتهيأ للانضمام لـ«حلف بغداد» (أبريل (نيسان) 1955)، الذي تشكل بين العراق وتركيا (فبراير (شباط) 1955).

---

(58) المصدر نفسه، ص342.

(59) الشَّخصيتان البنا وطنطاوي تؤكد مصادر أُخر أنهما كانا موجودين ببغداد بدعوة من الإخوان العراقيين، فطنطاوي ترك العراق (1939) وكان مدرساً لكنه حل بالعراق كضيف (كاظم أحمد ناصر المشايخي «ت 2004»(الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، بغداد: مطبعة أنوار دجلة، 2009، ص207–208).

(60) العجلي، الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح، مصدر سابق، ص342.

(61) المصدر نفسه. وردت أسماء من الإخوان غير العراقيين أنهم زاروا العراق بوجود الصَواف مراقباً عاماً، ولعلَّ هؤلاء ممَن يقصدهم العجلي بفدائيي الإخوان ومَن لم يعد يتذكرهم، ومن الذين ترددوا على المقر العام للإخوان بمنطقة باب المعظم شمال بغداد: من غير الإبراهيمي وطنطاوي والبنا جاء اسم: محيي الدين القليبي، وعبدالحكيم عابدين، وسعد الدين الوليدي، ومحمد المبارك، ومصطفى الزرقا، وحسن عشماوي، وبشير العوف، وعبدالبديع صقر (المشايخي، الشيخ محمد محمود الصَّواف، مصدر سابق، ص207–208).

مِن ذلك السعي الحثيث، زار مراقب الإخوان العِراقيين محمد محمود الصَّواف (ت 1992) وكامل شريف وعلي طنطاوي رئيس الوزراء الجمالي، فأظهر لهم الاستعداد لإنقاذ نواب صفوي، ونصحهم أن يأتوا برسائل مِن مراجع النَّجف الكبار وبينهم: الشَّيخ عبدالكريم الجزائري (ت 1962)، والسَّيد محسن الحكيم (ت 1970)، على أن تكون موجهة إلى الملك فيصل الثَّاني (قُتل 1958) يحثونه للتَّوسط عند الشاه، وأن رئيس الوزراء الجمالي تكفل بالاهتمام بها وإدخالها إلى الملك، ويطلب منه الاهتمام بالأمر.

كلف الصَّواف معن العجلي وعبدالغني شندالة (أعدم 1970)، والمحامي محمد سالم زيدان[62]، لهذه المهمة، فتوجه إلى النَّجف، وزار مجالس المراجع الشِّيعة المعروفين، وحصل على رسالتين مِن مرجعين مهمين، لكنه ظل يبحث عمّن يوصله إلى محسن الحكيم وهو المؤثر عند شاه إيران[63]، فالأخير، حسب معلومات العجلي، كان لا يحب حركة «فدائيي إسلام» ويبغض نواب صفوي، وربَّما مراجع التَّقليد الآخرون لهم الموقف نفسه من هذه الحركة وزعيمها، كونها حركة ثورية سياسية والمرجعية بشكل عام ضد هذا التَّوجه.

أخيراً وصل العجلي إلى صاحب كتاب «الغدير» الشَّيخ عبدالحسين الأميني (ت 1970)، وكان المعروف عنه أنه يؤيد «فدائيان إسلام»، وتربطه صداقة مع صفوي نفسه، وكان الأخير قد درس بالنَّجف مثلما تقدم. فلم يبق للعجلي في الوصول إلى الحكيم وإقناعه بكتابة رسالة لإنقاذ صفوي غير الأميني، يقول العجلي: «وإذا بالأميني، وهو شيخ مهيب، وقور يهبط الدَّرج (السّلم) بلباسه التَّام، وهو يقول: أهلاً يا معن، لقد كنت أبغض شخصك وأتطير من كتابك (دروس في القومية) بسبب ما فيه مِن هواك الأموي، أما اليوم فأنت واحد مِن الَّذين يجب عليَّ أن أخلص الوّد لهم، كل ما تريد أن تكون في بيان أفكارك، مصيباً أو مخطئاً، فلقد أخبروني مِن بغداد بغايتك التي جئت لها. ثم أخذ يعانقني، وهو ينشد أبياتاً مِن الشِّعر في مدح قبيلة بني

(62) العجلي، الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح، مصدر سابق، ص343.

(63) عندما توفي المرجع حسين البروجردي (1961) أبرق شاه إيران برقية التعزية به إلى محسن الحكيم، مما يدل على منزلته في بلاطه، وأنه أراد الإشارة بها إلى أنه المرجع (رفسنجاني، حياتي، مصدر سابق، ص48).

عجل، وأخذ يبالغ بالتَّرحيب، وعلمت أنه على معرفة تامة بموقف الإخوان المسلمين مِن هذه المسألة الرَّهيبة»[64].

لم يُشجع الأميني على زيارة السَّيد الحكيم لأنه -حسب الأميني- «يكره فدائيان إسلام ويحقد على نواب صفوي»[65]. لكن «تقدرون وتضحك الأقدار»، أثناء ذلك اللقاء انتهت قصة نواب صفوي، فقد قُرع الباب قرعاً شديداً، فما إن فتح الشيخ حتى عاد منتحباً باكياً قائلاً: «أيها الأخ العجلي لقد نفذ القضاء وأُعدم المجتبى نواب صفوي وإخوته قبل ساعة مِن زمان، لقد جاءتني برقية مِن طهران بذلك»[66].

كانت هناك صلة بين الشَّيخ الأميني ومراقب الإخوان العراقيين الصَّواف؛ كان الأخير قد أبلغه بمهمة العجلي، فالأميني أطلع على خطة اختطاف صفوي مِن سجنه، وكان مهد «مستلزمات التفاهم مع بعض السَّجانين، وتهيئة المتطلبات»، ويبدو أن الإخواني الشَّريف نسق مع السجان، مثلما تقدم، عن طريق الأميني. يقول العجلي: «واستكتمني ذلك»! فالأميني على سفر دائم بين العِراق وإيران، على أن الواشي كان من البهائيين[67]، المطلوبة رؤوسهم مِن قبل نواب صفوي نفسه. وبهذا طويت صفحة نواب صفوي ومنظمته فدائيان إسلام، ليبدأ، بعد حين، فعل ثوري إسلامي آخر أسفر عن سقوط الإمبراطورية البهلوية برمتها، وبدأت المنطقة بالغليان بالإسلام السِّياسي، أحزاب تشرئب إلى السُّلطة من نافذة الثَّورة الإيرانية، وقد تزامن ذلك مع حرب أفغانستان الدِّينية، واحتلال جهيمان العتيبي وجماعته الحرم المكي.

الخاتمة

كانت قصة مثيرة، قصة الإخوان ونواب صفوي، يُشكر الشَّيخ العجلي على إخراجها مِن صدره، ونحثه على إخراج ما تبقى فيه، إن كان في العمر بقية، وحسب لقائي به وقراءتي لكتبه، وجدته صاحب ذاكرة لم تضعفها التسعون، على الرَّغم أنه

(64) العجلي، الفكر الصحيح في الكلام الصَّريح، مصدر سابق، ص344-345.

(65) المصدر نفسه، ص345.

(66) المصدر نفسه.

(67) المصدر نفسه.

لا يُخفي التَّصريح بالعداوة، بشيء من التَّطرف، أكثر ما تسمح به الكتابة.

ما يستنتج من هذا الدَّرس: إذا كان الإقصاء المتبادل، بين السُّنَّة والشِّيعة، تفرضه السِّياسة فالتلاقي، بين أهل الأحزاب، غير بريء منها، ويبدو أنَّ الإسلاميين عموماً، من دون إفصاح، المسلم الحقيقي لديهم هو الملتزم فكرياً وتنظيمياً، لأنه الطَّليعة!

لكنَّ هذه القصة المثيرة لم يأت عليها مَن كتب تاريخ الإخوان المسلمين العراقيين، فلم أجدها في مذكراتهم، ولا عند مَن كتب عنهم، وليس الذَّنب ذنب مَن قدم أطروحة أكاديمية في تاريخهم، لكن على مَن لجأ إليه من قادة الإخوان أنفسهم، فالحدث كان مشهوراً، وكتب عنه الإخوان عند لقاء نواب صفوي بمصر ودمشق، ولم يُذكر شيء عمَّا حدث ببغداد، ربّما الأمر يتعلق بما كُتب بعد (2003)، وما انفجرت فيه من طائفية مدمرة، ومع ذلك نبقي المجال مفتوحاً ونقول: إن شهود العيان، على هذه الحادثة، ليسوا بذاكرة الشَّيخ معن العجلي.

كان أصل ما كتبه الشَّيخ العجلي في فصل «محطم العرش البهلوي»، من كتابه «الفكر الصَّحيح في الكلام الصَّريح» حديثاً مطولاً ألقاه في جمعية الأخوة الإسلامية ببغداد، دار الإخوان المسلمين، بعد ثلاثة أشهر من إعدام صفوي. مما يؤكد استغرابنا من عدم التنويه لهذه الحادثة في كُتب الإخوان وتاريخهم، فمن المؤكد أن جل الحاضرين تلك المناسبة في الجمعية -إن لم يكن كافتهم- كانوا من الإخوان المسلمين.